عشرين طعنة بالرمح في كلية بشر، وعشرين ضربة بعرض السيف. ولم يتمكن بشر من واحدة.

ثم قال له الفتى: يا بشر سلّم عمك واذهب في أمان. قال نعم، ولكن شريطة أن تقول من أنت.

فقال الفتى: أنا ابنك من تلك المرأة الجميلة التي خطفتها من الركب.

وهنا يستسلم بشر بعد أن اكتشف أن الحيّة تلد الحيّة، ويتنازل عن فاطمة ابنة عمّه حيث يزوجها لهذا الأمرد (انظر النص الكامل في الملحق).

تلك هي قصة هذه المقامة. وقد يبدو الأمر بسيطاً عند هذا الحدّ، لولا أن النص ينطوي على تركيب نصوصي معقد.

فهذا الصعلوك بشر ليس فارساً يقتل ويحبّ ويقطع الطريق فحسب، وإنما هو شاعر أيضاً، وله في النص قصيدة لها حكاية خاصة. كما أن هذا الفارس الجبّار لا يكتفي بسلسلة من الانتصارات والنجاحات ولكنه ينهزم أيضاً. وما بين الفوز والخسارة وما بين البداية والنهاية تتشابك أمور تجعل المقامة نصاً من نوع مختلف وتجعلها نصاً اختلافياً سنقف عند ملامحه.

2 ـ اختلاف الاختلاف:

إن الكتابة عن شيء ينتسب إلى بديع الزمان الهمذاني هي كتابة عن الابتكار وعن الاختلاف. فهذا رجل ابتكر فنّاً جديداً على غير